أُصُولُ الطَّرِيقَةِ

تأليف الشيخ الإمام

أبي العبّاس أحمد زرّوق الفاسي

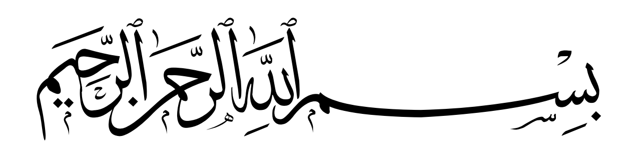
(846 ـ 899 هـ)

بعناية

نزار حمّادي

دار الإمام ابن عرَفة

تونس


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لِلَّـهِ وَحْدَهُ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّـهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَأَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ وَبُلُوغِهِ: اتِّبَاعُ الحَقِّ، وَمُجَانَبَةُ البَاطِلِ، وَإِنَّ الاعْتِنَاءَ بِالأُصُولِ يُوقِفُ عَلَى الطَّائِلِ وَالمَحْصُولِ، وَأُصُولُ طَرِيقَةِ الحَقِّ سُبْحَانَهُ أَرْبَعَةٌ:

1. حِفْظُ الحُرْمَةِ.
2. وَعُلُوُّ الهِمَّةِ.
3. وَحُسْنُ الخِدْمَةِ.
4. وَشُكْرُ النِّعْمَةِ.

فَمَنْ حَفِظَ الحُرْمَةَ حُفِظَتْ حُرْمَتُهُ، وَمَنْ عَلَتْ هِمَّتُهُ ارْتَفَعَتْ رُتْبَتُهُ، وَمَنْ حَسُنَتْ خِدْمَتُهُ ظَهَرَتْ كَرَامَتُهُ، وَمَنْ شَكَرَ النِّعْمَةَ دَامَتْ نِعْمَتُهُ.

وَلِهَذِهِ الجُمْلَةِ تَفْصِيلٌ، نُشِيرُ مِنْهُ إِلَى القَلِيلِ.

فَأَمَّا حِفْظُ الحُرْمَةِ فَيَكُونُ لِأَرْبَعَةٍ:

1. لِلَّـهِ
2. وَلِرَسُولِهِ.

3. وَلِخَاصَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

4. وَعَامَّتِهِمْ.

فَحِفْظُ حُرْمَةِ اللَّــهِ تَعَالَى بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ:

1. اعْتِقَادُ الحَقِّ فِي وَصْفِهِ بِغَيْرِ إِلْحَادٍ.

2. وَتَعْظِيمُ ذِكْرِهِ بِمَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ غَيْرِ إِيهَامٍ وَلَا إِبْهَامٍ.

3. وَامْتِثَالُ أَمْرِهِ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ.

4. وَالاسْتِسْلَامُ لِقَهْرِهِ مِنْ غَيْرِ اعْتِرَاضٍ.

وَحِفْظُ حُرْمَةِ رَسُولِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بِأَرْبَعَةٍ أَيْضًا:**

1. اعْتِقَادُ الحَقِّ وَصْفاً مِنْ غَيْرِ تَنْقِيصٍ.

2. وَتَوْقِيرُهُ قَوْلًا وَفِعْلًا مِنْ غَيْرِ إِخْلَالٍ.

3. وَإِجَابَةُ دَعْوَتِهِ فِيمَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى مِنْ غَيْرِ تَرَاخٍ.

4. وَالرِّضَى بِأَحْكَامِهِ بَدْءًا وَعَوْدًا مِنْ غَيْرِ حَرَجٍ وَلَا تَرَدُّدٍ.

وَحِفْظُ حُرْمَةِ خَاصَّةِ المُسْلِمِينَ بِأَرْبَعَةِ مَرَاتِبَ، وَهِيَ أَرْبَعٌ:

- **رُتْبَةُ الوِلَادَةِ، وَالوَاجِبُ لَهَا أَرْبَعَةٌ:**

1. خَفْضُ الجَنَاحِ.

2. وَلُزُومُ البِرِّ.

3. وَتَرْكُ العُقُوقِ.

4. وَدَوَامُ الإِحْسَانِ.

❖ **وَرُتْبَةُ الوِلَايَةِ، وَلَهَا أَرْبَعَةٌ:**

1. السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ.

2. وَتَرْكُ الخِلَافِ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عُصَاةً مُذْنِبِينَ.

3. وَالإِعْرَاضُ عَنْ مَسَاوِيهِمْ، وَإِنْ كَانَتْ ظَاهِرَةً.

4. وَالوُقُوفُ عِنْدَ أَمْرِهِمْ، وَإِنْ ضَرَبُوكَ.

❖ **وَرُتْبَةُ العُلَمَاءِ، وَلَهَا أَرْبَعَةٌ:**

1. الرُّجُوعُ إِلَيْهِمْ فِي الأَحْكَامِ.

2. وَمُقَابَلَتُهُمْ بِالإِكْرَامِ.

3. وَأَخْذُ مَا يُشِيرُونَ بِهِ بِالاهْتِمَامِ.

4. وَمُعَامَلَتُهُمْ بِالاسْتِسْلَامِ.

❖ **وَرُتْبَةُ المَشَايِخِ، وَلَهَا أَرْبَعَةٌ:**

1. اتِّبَاعُ المَرْسُومِ.

2. وَتَرْكُ الاعْتِرَاضِ.

3. وَدَوَامُ المُلَازَمَةِ.

4. وَالسَّعْيُ فِي الأَغْرَاضِ.

وَقَدْ يَصْدُرُ مِنْ هَؤُلَاءِ الأَرْبَعَةِ أَرْبَعَةٌ:

1. الأَذَى.

2. وَالإِكْرَامُ.

3. وَالإِسَاءَةُ.

4. وَالإِحْسَانُ.

فَقَابِلِ الأَذَى بِالصَّبْرِ لَا بِالجَزَعِ، وَالإِكْرَامَ بِالثَّنَاءِ، دُونَ مُخَالَفَةٍ لِلْحَقِّ مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصٍ، وَالإِسَاءَةَ بِالعُذْرِ مِنْ غَيْرِ اتِّبَاعٍ، وَالإِحْسَانَ بِالمُوَافَقَةِ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ، وَبِاللَّـهِ التَّوْفِيقُ.

فَصْلٌ

وَأَمَّا عُلُوُّ الهِمَّةِ، فَيَكُونُ بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاء:

1. التَّدَرُّعُ لِطَلَبِ المَعَالِي دُنْيَا وَدِينًا.

2. وَالإِعْرَاضُ عَنِ الخَلْقِ فِي المَمَاتِ وَالمَحْيَى.

3. وَالاكْتِفَاءُ بِعِلْمِهِ تَعَالَى فِي الجَهْرِ وَالإِخْفَا.

4. وَالثِّقَةُ بِهِ تَعَالَى فِي المَنْعِ وَالعَطَا.

فَيَتَوَلَّدُ مِنَ الأَوَّلِ أَرْبَعَةٌ:

1. الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا.

2. وَإِيثَارُ الآخِرَةِ.

3. وَالنُّهُوضُ لِلْعَمَلِ.

4. وَمُجَامَلَةُ العِبَادِ.

وَيَتَوَلَّدُ مِنَ الثَّانِي أَرْبَعَةٌ:

1. تَرْكُ المَطَامِعِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا.

2. وَالإِنْصَافُ مِنَ النَّفْسِ فِيمَا قَلَّ وَجَلَّ.

3. وَتَرْكُ الانْتِصَافِ لَهَا اعْتِبَارًا بِتَصْرِيفِ الحَقِّ.

4. وَتَرْكُ التَّكَلُّفِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ النِّعْمَةُ العُظْمَى.

وَيَتَوَلَّدُ مِنَ الثَّالِثِ أَرْبَعَةٌ:

1. صَفَاءُ الإِخْلَاصِ بِتَرْكِ الرِّيَاءِ.

2. وَصَفَاءُ العَمَلِ بِشُهُودِ المِنَّةِ.

3. وَمُرَاقَبَةُ الحَقِّ فِي عُمُومِ الأَوْقَاتِ.

4. وَاللَّجْأُ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ الحَالَاتِ.

وَيَتَوَلَّدُ مِنَ الرَّابِعِ أَرْبَعَةٌ:

1. التَّوْفِيقُ فِي البِدَايَاتِ.

2. وَالرِّضَا فِي النِّهَايَاتِ.

3. وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّـهِ فِي جَمِيعِ الحَالَاتِ.

4. وَالدَّوَامُ عَلَى ذَلَكِ إِلَى المَمَاتِ، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] وَكَافِيهِ وَوَاقِيهِ وَنَاصِرُهُ.

وَأَمَّا حُسْنُ الخِدْمَةِ، فَمَدَارُهُ عَلَى أَرْبَعَةِ أُصُولٍ:

1. اتِّبَاعٌ بِلَا ابْتِدَاعٍ.

2. وَوَرَعٌ بِلَا تَخْلِيطٍ.

3. وَإِخْلَاصٌ بِلَا رِيَاءٍ.

4. وَتَشْمِيرٌ بِلَا تَقْصِيرٍ.

فَمَجَارِي الاتِّبَاعِ أَرْبَعَةٌ:

1. الوَظَائِفُ الشَّرْعِيَّةُ.

2. وَالأَخْلَاقُ النَّفْسِيَّةُ.

3. وَالآدَابُ الكَسْبِيَّةُ.

4. وَالتَّصَرُّفَاتُ العَادِيَّةُ.

فَتَحَفَّظْ فِي الأَوَّلِ، وَاحْتَفِظْ فِي الثَّانِي، وَاجْتَهِدْ فِي الثَّالِثِ، وَتَوَقَّفْ فِي الرَّابِعِ.

وَمَجَارِي الوَرَعِ أَرْبَعَةٌ:

1. أَحْوَالُ القَلْبِ، وَوَرَعُهَا بِعَدَمِ التَّعْرِيجِ عَلَى غَيْرِ اللَّـهِ.
2. وَأَقْوَالُ اللِّسَانِ، وَوَرَعُهَا بِتَرْكِ كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَى الاعْتِذَارِ.
3. وَحَرَكَةُ الجَوَارِحِ، وَوَرَعُهَا بِتَرْكِ مَا لَا يَعْنِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.
4. وَمُسْتَعْمَلَاتُ الأَقْوَاتِ، وَوَرَعُهَا بِتَرْكِ الشُّبَهِ الوَاضِحَاتِ وَما يَجْرِي مجْرَاهَا، وَإِنَّمَا شَرَطْنَا الوُضُوحِ لِتَعَذُّرِ غَيْرِهِ فِي الوَقْتِ.

وَمَجَارِي الإِخْلَاصِ أَرْبَعَةٌ:

1. مَبَادِئُ الأَعْمَالِ بِأَنْ لَا تَقْصِدَ بِهَا تَرْكًا وَفِعْلًا غَيْرَ اللَّـهِ.
2. وَمَنَاهِيهَا بِأَنْ لَا تَرَاهَا حَاصِلَةً إِلَّا مِنَ اللَّـهِ.
3. وَحَالُ التَّلَبُّسِ بِهَا بِأَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْتِفَاتٌ لِغَيْرِ اللَّـهِ.
4. وَذِكْرُهَا بَعْدُ، بِأَنْ لَا تُذْكَرَ إِلَّا لِلَّـهِ، حَسْبَ أَمْرِ اللَّـهِ.

وَمَجَارِي التَّشْمِيرِ أَرْبَعَةٌ:

1. إِعْطَاءُ كُلِّ وَقْتٍ حَقَّهُ مِنْ غَيْرِ فَتْرَةٍ.

2. وَالقِيَامُ بِالحَقِّ فِيهِ مِنْ غَيْرِ تَبْدِيلٍ.
3. وَمُرَاقَبَةُ الأَوْقَاتِ بِأَحْكَامِهَا اللَّازِمَةِ.
4. وَاسْتِدْرَاكُ الفَائِتِ قَدْرَ الاسْتِطَاعَةِ.

وَالأَوْقَاتُ أَرْبَعَةٌ فِي العُمُومِ:

1. طَاعَةٌ.
2. وَمَعْصِيَةٌ.
3. وَنِعْمَةٌ.
4. وَبَلِيَّةٌ.

وَلِكُلٍّ مِنْهَا سَهْمٌ مِنَ العُبُودِيَّةِ، وَيَقْتَضِيهِ الحَقُّ مِنْكَ بِحُكْمِ الرُّبُوبِيَّةِ:

1. فَلِلطَّاعَةِ شُهُودُ المِنَّةِ.
2. وَلِلْمَعْصِيَةِ شُهُودُ التَّوْبَةِ.
3. وَلِلنِّعْمَةِ شُكْرُهَا.
4. وَلِلْبَلِيَّةِ صَبْرُهَا.

وَحُقُوقُ الأَوْقَاتِ اللَّازِمَةِ فِيهَا أَرْبَعَةٌ:

1. مُبَادَرَةُ الأَمْرِ.

2. وَمُجَانَبَةُ الوِزْرِ.

3. وَمُصَاحَبَةُ الخَوْفِ.

4. وَضَبْطُ الأَزْمِنَةِ.

وَهِيَ أَرْبَعَةٌ:

1. مَا بَعْدَ الصُّبْحِ لِلذِّكْرِ وَالتَّحْصِيلِ.

2. وَمَا بَعْدَ العَصْرِ لِلْمُحَاسَبَةِ وَالتَّفْصِيلِ.

3. وَجَوْفُ اللَّيْلِ لِلْمُنَاجَاةِ وَالتَّوْصِيلِ.

4. وَعُمُومُ الأَوْقَاتِ لِلتَّوْطِئَةِ وَالتَّأْصِيلِ.

وَذَلِكَ بِأَرْبَعَةٍ:

1. السَّعْيُ فِي المَعَاشِ.

2. وَالتَّهَيُّءُ لِلْعِبَادَاتِ.

3. وَالتَّلَبُّسُ بِالضَّرُورِيَّاتِ.

4. وَالمُرَافَقَةُ فِي أَحْكَامِ البَشَرِيَّةِ المُبَاحَاتِ.

وَالأَزْمِنَةُ أَرْبَعَةٌ:

1. زَمَانُ الفِتْنَةِ، وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا السُّكُونُ وَالعَمَلُ فِي الدَّفْعِ بِمَا أَمْكَنَ.

2. وَزَمَانُ العَافِيَةِ، وَفِيهِ القِيَامُ بِكُلِّ خَيْرٍ حَسَبِ الإِمْكَانِ.
3. وَزَمَانٌ خَالٍ عَنِ الوَصْفِ، وَتَرْكُ الحَرَكَةِ فِيهِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَالُهُ.
4. وَزَمَانٌ مُمْتَزِجٌ بِالخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَيُرَاعَى فِيهِ الأَمْرُ الخَاصُّ دُونَ العَامِّ.

وَهُوَ يَجْرِي فِي أَرْبَعَةٍ:

1. تَأْدِيبُ الأَهْلِ أَمْرًا وَنَهْيًا.
2. وَتَهْذِيبُ النَّفْسِ حُكْمًا وَرِيَاضَةً.
3. وَتَرْبِيَةُ الأَتْبَاعِ تَأْدِيبًا وَحِكْمَةً.
4. وَإِرْشَادُ الخَلْقِ بِالرِّفْقِ وَالرَّحْمَةِ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصلاة والسلام: إذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي راي برأيه فعليك بخويصة نفسك

فَصْلٌ

وَأَمَّا شُكْرُ النِّعْمَةِ فَهُوَ عَلَى أَرْبَعَةِ أُصُولٍ:

1. مَعْرِفَةُ القَلْبِ بِقَدْرِ النِّعْمَةِ وَالإِنْعَامِ.
2. وَذِكْرُ ذَلِكَ عَلَى التَّفْصِيلِ دُونَ قُنُوعٍ بِالإِجْمَالِ.

3. وَاسْتِرْسَالُ الجَوَارِحِ عَلَى وَفْقِ ذَلِكَ فِي الأَعْمَالِ.

4. وَالثَّنَاءُ عَلَى اللَّـهِ بِإِحْسَانِهِ مِنْ حَيْثُ الإِنْعَامُ وَالإِفْضَالُ.

خَاتِمَةٌ

لَابُدَّ مِنْ أَرْبَعَةٍ يُسْتَعَانُ بِهَا:

1. اسْتِنْهَاضُ النَّفْسِ بِآلَةِ الخَيْرِ.

2. وَالاسْتِعَانَةُ بِأَخٍ صَالِحٍ وَشَيْخٍ نَاصِحٍ فِي الأُمُورِ.

3. وَالعَمَلُ عَلَى الحَزْمِ فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ.

4. وَسُوءُ الظَّنِّ بِالنَّفْسِ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ.

وَعَوَارِضُ الأَرْبَعَةِ أَرْبَعَةٌ:

1. الاكْتِفَاءُ بِالبِدَايَاتِ دُونَ النِّهَايَاتِ.

2. وَإِيثَارُ الجَهْلِ عَلَى العِلْمِ.

3. وَالاتِّسَاعُ بِالتَّأْوِيلِ فِي الرُّخْصَةِ.

4. وَالانْتِصَارُ بِمُوَافَقَةِ الأَغْرَاضِ وَالغَفْلَةِ.

وَأَصْلُ كُلِّ أَصْلٍ أَرْبَعَةٌ:

1. الصُّحْبَةُ.

2. وَالخُلْطَةُ.

3. وَالعَقْدُ

4. وَالتَّوَجُّهُ

فَكُلْ مَا شِئْتَ فِمِثْلُهُ تَفْعَلُ، وَاصْحَبْ مَنْ شِئْتَ فَأَنْتَ عَلَى دِينِهِ.

وَلَا فَلَاحَ إِلَّا بِكَمَالِ اليَقِينِ، وَإِظْهَارِ ذَلِكَ فِي التَّوَجُّهِ، وَمَدَارُهُ عَلَى قَلْبٍ مُفْرَدٍ فِيهِ تَوْحِيدٌ مُجَرَّدٌ، وَعِنْوَانُهُ اللَّجْأُ إِلَى اللَّـهِ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ مِنْ حَسَنٍ أَوْ قَبِيحٍ، وَلَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنَ اللَّـهِ إِلَّا إِلَيْهِ، وَالسَّلَامُ.

كَمُلَتْ أُصُولُ الطَّرِيقَةِ، وَاللَّـهُ المُوَفِّقُ.